

## المشكلات

## ٧- اللغة العربية

## للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقتنا في تعليمها ؟ — كيف تعلمها ؟

لقد استغللنا ما استنبطناه من علم يتعلق بتعليم اللغة في تعليم اللغة العربية وفي تعليم اللغة الإنكليزية وفي تعليم اللغة الفرنسية وأصبح في استطاعتنا أن نتق الأخفاق في تعليم اللغة الإنكليزية والفرنسية ، وأن نتق هذا الرسوب الذي يعنى به تلاميذنا في آخر كل عام دراسي في هاتين اللغتين والذي يبلغ في بعض السنين ٧٨٪. ووهبنا للتلاميذ أعماراً بقدر الأعوام التي وقيناهم فيها الرسوب والتي كانوا يرسبون فيها لو لا أخذهم بهذا المنهج الجديد ، ونفينا عنهم وعن أهلهم ذلك الحزن الذي كان يستولى عليهم في آخر كل عام دراسي بهذا الرسوب . ووفرنا على أهلهم تلك الأموال التي كانوا ينفقونها في إعادة الأعوام التي رسيوا فيها . ومن ذلك بطل أن الباب الواحد من العلم إذا استغله أهله كان عظيم البركة جليل النفع ، وربما كان أجدى على الأمة والأفراد من كثير من الخيرات المادية

ولسنا نستغل هذا الباب من العلم في تعليم اللغات فحسب بل سنستغله في كثير من مشكلاتنا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية فيرى كيف يعظم نفعه ، وتجبل بركته ، وكيف يجلب من الخير ما لا يدركه الوهم ، ولا يحصىه المد وهذا وأمثاله هو الذي جعلنى أومن بالعلم وأعظمه وأجله ، وأرى أنه ما من خير للأفراد والأمم إلا وهو مصدره ، وما من شر يصيب الأفراد والأمم إلا وللجهل يد فيه ظهرت أو خفيت

\*\*\*

لعل قائل يقول : إنك آمنت بالملسكة في كسب اللغة العربية إيماناً لا تزعمه الشكوك ، وظننت أنها تفيد في كسب البرية كما تفيد في كسب اللغة الإنكليزية والفرنسية ، ولم تظن إلى ما بين اللغة العربية وسائر اللغات من فارق

إن اللغة العربية كثيرة الأحكام ، متشعبة الفروع ، فلا تستقل الملكة بضبط هذه الأحكام الكثيرة ، ولا يضبطها إلا العلم الفصل بالقواعد والبيان ، وسأضرب مثلاً ( لا ) العاملة عمل إن ، فإن شرط عملها هذا العمل :

١ - أن تكون نافية

٢ - وأن يكون النفي الجنس

٣ - أن يكون نفيه نصاً

٤ - ألا يدخل عليها جار

٥ - أن يكون اسمها نكرة

٦ - أن يكون متصلاً بها

٧ - أن يكون خبرها نكرة - فإن كانت غير نافية رفع ما بعدها ، وإن كانت لنفي الوحدة عملت عمل ليس نحو لا رجل قائماً بل رجلان ، وإن دخل عليها الخافض خفض ما بعدها نحو جئت بلا زاد ، وإن كان الاسم معرفة أو منفصلاً منها أهملت نحو لا الدار دار ولا الجيران جيران ، ونحو لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

هذه أحكام كثيرة ولا يسعف بها إلا معرفة القواعد ، فأما الملكة فلا تستطيع الاهتداء إلى هذه التفاصيل

ونحن نقول لهذا القائل إنك أسأت الظن إذ ظننت أن الملكة لا تهتدى إلى الفروق الخفية والمداخل المتشعبة ، إنها أهدي من القسط ، وإن الإنسان يطمئن إليها في الهداية إلى ما يستجر من الأحكام . إنها تهدي المرء إلى الصواب الجارى على القواعد وإن لم يعرف القواعد . أنظر إلى الهمزات في علم الرسم كيف يكتب المرء يثد على ياء ، ويأمن على ألف ، ويؤمن على واو ، تهديه ملكته التي اكتسبها بالمرانة والتكرار وإن لم يعلم القاعدة أو لم يستحضرها

وكذلك الألفات ما يكتب منها ألفاً وما يكتب منها ياء ، فيكتب المرء رى بالياء ودعا بالألف كأن في منطقة اللاشعور فينا عالمًا يعلم أن رى أصلها الياء فتكتب ياء ، ودعا أصلها الواو فتكتب ألفاً ، ويكتب أغزى بالياء كأن عالمًا فينا يعلم أنها وإن كان أصلها الواو إلا أنه لما قيل فيها أغزيتة كتبت ياء يعجب المرء كيف تهدي الملكة إلى الحق كأنما تستعمل

ليعلم هؤلاء الذين يحبون النحو والصرف وقواعد البلاغة ،  
أننا نحب النحو والصرف وقواعد البلاغة أكثر منهم حين  
ندعو إلى تعليم اللغة بأسلوب يكون ملكة اللغة في نفوس  
التعلمين ، لأننا نريد أن نجعل قواعد النحو والصرف والبلاغة  
فوق العلم بها ملكات لنا مختلطة بلحومنا ودمائنا غائصة في أعماق  
نفوسنا وداخله في منطقة اللاشعور فينا

لقد ظفرت اللغة العامية مع عدم الاحتفال بها والعناية بتعلمها  
بأن صارت ملكة في النفوس ، فغلبت اللغة العربية التي لم تغفر  
بذلك إلى الآن ، وكانت لغة البيت والشارع والمدرسة ولغة الدرس  
والخطاب ولغة الأغاني والمسرح والخيالة ، وليس للغة العربية  
حظ في شيء من ذلك إلا أنها لغة الكتابة ، والذين يكتبون  
بها قليل ، وهذا القليل لم يكتب الكتابة من القواعد وتعلمها ،  
إنما اكتسبها من طريق الحفظ والقراءة وتذوق الكثير من  
بليغ النثر والمنظوم ومن مزاولة الكتابة والكلام بها ، حتى  
اكتسب نماذج ذهنية في نفسه ومناطق اللاشعور فيه ، يتكلم على  
مقتضاها ، وينسج على منوالها ، فلم لا نسمي لرفع اللغة العربية  
من مجالها الضيق المحدود إلى المجال الواسع غير المحدود ؟

لم تركها خافضة ضئيلة النفوذ محدودة السلطان بعيدة عن  
الجاهل وعن كثير من الخاصة لا تعرفهم ولا يعرفونها مقصورة  
على طبقة قليلة من خاصة الناس ؟

إنما أريد بما أعرض من هذا التوجيه الجديد أن تنفذ  
اللغة العربية من سيطرة العامية وأن توسع دائرة نفوذها في  
شؤون الحياة

يا سبحان الله ! أيعلم كل صانع في الدنيا أنه لا يحذف التعلم  
صنمته إلا بالمرأة والتكرار ، فلا يكتفوا بالقواعد للتعلمين  
وحفظها بل يأخذونهم بالدربة والمرأة على أعمال صنعتهم الجارية  
على حدود قواعدهم ، حتى يحذفوا صناعتهم ، ولا يعلم ذلك رجال  
العلم في بلاد الشرق منذ آماد طويلة ، فاكثفوا في تعليم اللغة  
بدراسة قواعدهم ورأوا تلك السبيل الثلي في تعلمها ، وأنها تفيد  
الطالب الناشئ ، وتجعله قادراً على التعبير بها في صحة وإتقان  
ومن عجب أن إخفاق القرون في هذه السبيل لم يصرفهم عنها  
ليبحثوا عن منهج أسد ، وطريق أقوم . محمد هرف

من قواعد مكتوبة ، وتمتاز الملكة عن القواعد بالسرعة التي  
لا يبلغها الرجوع إلى القواعد . ولقد بلغ من اهتمام الملكة أنها  
تكتب المطرود على حسب القاعدة ، والشاذ على ما قيل من شذوذ ،  
فهي تكتب داود يواو واحدة ، وتكتب بعمرو يواو بعدها ،  
وتكتب مائة بألف زائدة وإن لم تكن في مجاها

فإذا كانت هداية الملكة ما ذكرنا في الكتابة فلا عجب  
أن تهدي مثل هذه الهداية في الكلام

قال أبو الفتح عثمان بن جني م ٣٩٢ في كتابه الخصائص :  
سألت الشجري يوماً فقلت له : يا أبا عبد الله ! كيف تقول : ضربت  
أخاك ، فقال : كذا . قلت : فقلت أفتقول ضربت أخوك ؟ قال  
لا أقول أخوك أبداً . قلت : فكيف تقول ضربني أخوك ؟  
فقال : كذا . قلت : ألت زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً ؟  
فقال : إيش ذا ؟ اختلفت جهتا الكلام . نقل أبو الفتح هذه  
الحكاية في باب عنوانه أن العرب قد أرادت من اللل والأغراض  
ما نسبنا إليها وحلنا عليها . واستدل بها على أن العرب كانت  
تعرف قواعد النحو والصرف ، ورأى أن ما قاله الأعرابي نظير  
قول النحاة : صار المفعول فاعلاً

وليس ما ذهب إليه ابن جني من الاستنتاج صحيحاً ، فهذا  
العربي لم يكن يرجع إلى قواعد ، وإنما كان يرجع إلى ملكته  
يستشيرها ويستهديها فنبت ملكته عن ضربت أخوك ، ولم تنب  
عن ضربني أخوك ، كما تنبوا ملكة الكاتب عن كتابة الهمزة  
في يشد بالواو وفي يؤمن بالياء ، وإن لم يعرف القاعدة ولم يستشرها  
لعلنا بذلك قد طأنا الذين يشفقون على اللغة من أن يكلوها  
إلى الملكة ، ويرون أن الملكة لا تكفي هادية ، لأن مذاهب  
العربية مختلطة متشعبة قريب بعضها من بعض ، لا يفرق بينها  
إلا العقل الواعي والعلم البصير . وقدمنا من الأدلة ما يدل على أنهم  
إذا وكلوها إلى الملكة فقد وكلوها إلى حفيظ أمين

فلتأمل هؤلاء الذين يصدون — أو سيصدون — عن  
طريقتنا فيما نحاول ، أننا نحاول كسباً جديداً للغة العربية ،  
فبدل أن تقتصر على علم قواعدهم تكون لنا ملكة وهيئة  
راسخة من هيئات نفوسنا وجزءاً من كيائنا ، وتكون هذه  
الملكة دعامة لفهم اللغة وتذوقها ، وفهم قواعدهم وأصولها  
دون جهد أو عناء